سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي
المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاكس: ٠٠/١٢١٢/٤٧٨١٣٧٣

بصور أجسادها في علم الله تعالى، ويحتمل الأرواح بالأجساد ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم عن أنس رضي الله عنه عند البيهقي. وبعث الله له آدم فَمَنْ دُونَه من الأنبياء. وعند البزّار والطبراني: «فنُشِر لي الأنبياء، من سَمّى اللهُ تعالى ومن لم يُسَمّ، فصَلَّيتُ بهم».

التنبيه العشرون: قول سيدنا إبراهيم ﷺ: «وأعطاني مُلكاً عظيماً»: قال ابن دِحْيَة: لا يُعْهَد لإبراهيم مُلك عُرْفي، فإما أن يُراد بالمُلْك الإضافة إليه نفسه وذلك لقهره لعظماء الملوك، وناهيك بالنمرود، وقد قهره الله تعالى لخليله وأعجزه عنه، وغاية المُلْك العظيم قهر المَلِك العظيم، فالقاهر أعظم من المقهور قطعاً. ويحتمل أن يُراد الإضافة إلى نَبِيِّه وذُرِّيَّته وذلك نحو مُلْك يوسف الصِّدِّيق ﷺ وهلم جرّا كمُلْك داود وسليمان والكل من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفي التنزيل: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾ [النساء: ٥٤] والإشارة هنا إلى ذُرِّيته. وإما أن يُراد مِلْكُ النفس في مَظِنَّةِ الاضطراب مثل مِلْكه لنفسه. وقد سأله جبريل فقال: أَلَكَ حاجة؟ فقال: أما إليكَ فلا.

التنبيه الحادي والعشرون: اختُلِف في تقديم الآنية هل هو قبل العروج أو بعده؟ واختُلِف في عددها فأكثر الروايات أنه كان قبله. روى أحمد والشيخان والنسائي والترمذي من حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه: «ثم رُفِع إلى البيت المعمور» إلى أن قال: «ثم أُتيت بإناءين: أحدهما خَمْر والآخر لَبَن»، وعند البخاري في الأشربة من طريق شُعْبَة عن قَتَادة عن أنس مرفوعاً: «رُفِعْتُ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى فإذا فيها أربعة أنهار» قال: «وأُتِيتُ بثلاثة أقداح»(١). لم يذكر شُعْبَة في الإسناد مالك بن صَعْصَعَة. وعند ابن عائذ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث المعراج بعد ذكر رؤيته إبراهيم في السماء السابعة: «ثم انطلقنا فإذا نحن بثلاثة آنية مُغَطَّاة».

قال السُّهَيْلي وابن دِحْية وابن المنير وابن كثير والحافظ: «لعلّه قُدِّم مَرَّتَين جَمْعاً بين الروايات». قال ابن كثير والحافظ: «وأما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيُحْمَل على أن بعض الرواة ذَكَرَ ما لم يَذْكُر الآخر، ومجموعها أربعة آنية فيها تُعْرَض الآنية مَرَّتَيْن وأربعة أشياء من الأنهار الأربعة التي تخرج من أصل سِدْرَة المنتهى».

التنبيه الثاني والعشرون: إذا قلنا يعْرَض الآنية مرتين ففائدة عَرْض الخمر [مع] إعراضه عنها في المرة الأولى وتصويبِ جبريل له، تكثيرُ التصويب والتحذير. وهل كانت

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٨/٧ كتاب الأشربة (٥٦١٠) أخرجه الحاكم في المستدرك ٨١/١ وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣١٨٤٦).

دار عمل؟ وأَجاب القاضي وتَبِعه السبكي بجوابين: الأَول: إنا نقول: إنهم كالشهداء بل أَفضل، والشهداء أَحياءٌ عند ربهم، فلا يَبْعُد أَن يحجُوا وأَن يُصَلُّوا كما ورد في الحديث الآخر، وأَن يتقربوا إِلى الله تعالى بما استطاعوا لأَنهم وإِن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إِذا فنيت مُدَّتُها، وتَعْقُبُها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل، وحاصله أَن البَرْزَخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الأَعمال وزيادة الأُجور. الثاني ولفظه للسبكي رحمه الله تعالى: «إنا نقول إن المُنْقَطِع في الآخرة إِنما هو التكليف، وقد تحصل الأَعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى. ولهذا ورد أَنهم يُسَبِّحون ويَدْعُون ويقرأُون القرآن وانظر إِلى سجود النبي ﷺ وقت الشفاعة، أَليس ذلك عبادةً وعملاً؟ وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول هذه الأَعمال في مدة البَرْزَخ».

وقد صَح عن ثابت البُناني التابعي أنه قال: «اللهم إِن كنت أَعْطَيْتَ أَحداً أَن يصلي في قبره فأَعْطِنِي ذلك». فرؤِي بعد موته يُصَلِّي في قبره، ويكفي رؤيه النبي ﷺ لموسى قائماً يصلي في قبره، لأَن النبي ﷺ وسائر الأَنبياء لم يُقْبَضُوا حتى خُيِّرُوا بين البقاء في الدنيا وبين الآخرة فاختاروا الآخرة. ولا شك أَنهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من الأَعمال الصالحة ثم انتقلوا إِلى الجنة، فلو لم يعلموا أَن انتقالهم إِلى الله تعالى أَفضل لما اختاروه، ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب إِلى الله تعالى لما اختاروه. انتهى ولهذا مزيد بيان يأْتي في باب حياته في قبره ﷺ.

التنبيه الثامن عشر: هذه الصلاة التي صلاها النبي ﷺ بالأَنبياء عليهم الصلاة والسلام، الصواب أَنَّها الصلاة المعروفة لأَن النص يحمل على حقيقتها الشرعية قبل اللغوية إِلا إِذا تَعَذَّرَ حَمْلُه على الشرعية، ولم يتعذَّر هنا فوجب حَمْلُه على الشرعية. وعلى هذا قال بعضهم: «كانت الصلاة التي صَلاَّها العِشَاء» وقال بعضهم: «إِنها الصبح».

قلت: وليسا بشيء سواء قلنا صَلّى بهم قبل العروج أَو بعده لأَن أَول صلاة صَلاَّها النبي ﷺ من الخمس مطلقاً الظُّهر بمكة باتفاق، ومن حمل الأَولية على مكة فعليه الدليل، والذي يظهر والله تعالى أَعلم أَنها كانت من النَّفْل أَو كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الإِسراء، وفي فتاوى النووي ما يؤيد الثاني.

التنبيه التاسع عشر: قال بعضهم: ورؤيته إِياهم ﷺ في السماء محمولة على رؤيته أَرْوَاحَهُمْ إِلا عيسى، لما صَحَّ أَنه رُفِع بجسده، وقد قيل في إِدريس أَيضاً ذلك. وأَما الذين صَلَّوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأَرواح خاصةً، ويؤيده ما في حديث أَبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عند الحاكم والبيهقي، «فلقي أَرواح الأَنبياء»، وفيه دليل على تَشَكُّل الأَرواح

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق

الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:

وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء العاشر

يحتوي على الكتب التالية

الفتن - أحوال القيامة وبدء الخلق - الفضائل والشمائل

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطَّبعَة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلميـــة

بيروت - لبنان

رمل الظريف، شـــارع البحتري، بنايـة ملكـارت

هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)

صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنـــان

الفصل الأول

٥٨٦٢ ـ (١) عن قتادةَ، عن أنس بن مالكٍ، عن مالك

يجمع بين الأدلة المختلفة. قال الطيبي: وقد روينا عن البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [الإسراء ـ ٦٠]. قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري بي إلى بيت المقدس(١). وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: شيء أريه النبي ﷺ في اليقظة رآه بعينه(٢)، ولأنه قد أنكرته قريش(٣) وارتدت جماعة ممن كانوا أسلموا حين سمعوه، وإنما ينكر إذا كانت في اليقظة، فإن الرؤيا لا ينكر منها ما هو أبعد من ذلك. على أن الحق أن المعراج مرتان مرة بالنوم وأخرى باليقظة. قال محيي السنة: رؤيا أراه الله قبل الوحي بدليل قول من قال: فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه، كما أنه رأى فتح مكة في المنام سنة ست من الهجرة. ثم كان تحقيقه سنة ثمان. وعن بعض المحققين أن الأرواح مأخوذة من أنوار الكمال والجلال وهي بالنسبة إلى الأبدان بمنزلة قرص الشمس بالنسبة إلى هذا العالم، وكما أن كل جسم يصل إليه نور الشمس تتبدل ظلماته بالأضواء، فكذلك كل عضو(٤) وصل إليه(٥) نور الروح انقلب حاله من الموت إلى الحياة. وقالوا: الأرواح أربعة أقسام: الأول الأرواح المكدرة بالصفات البشرية، وهي أرواح العوام غلبته القوى الحيوانية لا تقبل العروج. والثاني الأرواح التي لها كمال القوّة النظرية باكتساب العلوم وهذه أرواح العلماء. والثالث الأرواح التي لها كمال القوّة المدبرة للبدن باكتساب الأخلاق الحميدة وهذه أرواح المرتاضين إذا كبروا قوى أبدانهم بالارتياض والمجاهدة. والرابع الأرواح الحاصلة لها كمال القوتين، وهذه غاية الأرواح البشرية وهي للأنبياء والصديقين. فلما ازداد قوة أرواحهم ازداد ارتفاع أبدانهم عن الأرض، ولهذا لما كان الأنبياء عليهم السلام قويت فيهم هذه الأرواح عرج بهم إلى السماء، وأكملهم قوّة نبينا ﷺ فعرج به إلى قاب قوسين أو أدنى.

(الفصل الأوّل)

٥٨٦٢ ـ (عن قتادة) تابعي جليل (عن أنس بن مالك) أي خادم رسول الله ﷺ (عن مالك

(١) البخاري ٨/ ٣٩٨ حديث رقم ٤٧٥١. والترمذي حديث رقم ٣١٣٤.
(٢) أحمد في المسند ١/ ٣٧٠.
(٣) في المخطوطة ذكر «عائشة» وهو خطأ واضح.
(٤) في المخطوطة «من».
(٥) في المخطوطة «إلى».

الحديث رقم ٥٨٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٠١. حديث رقم ٣٨٨٧. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥١ حديث رقم (٢٦٥ . ١٦٤) وأخرجه النسائي في السنن ١/ ٢١٧ حديث رقم ٤٤٨. وأحمد في المسند ٤/ ٢٠٧.

ابن صعصعَةَ، أنَّ نبي الله ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أُسريَ به: «بينما أنا في الحَطِيم ـ ورُبما قال في الحِجر ـ مضطجعاً إذ أتاني آتٍ، فَشقَّ ما بين هذِه إلى هذِه» يعني منْ ثُغْرةِ نحرِه إلى شِعرتِه «فاستخرجَ قلبي،

ابن صعصعة) أنصاري مزني مدني سكن البصرة، وهو قليل الحديث. (أن نبي الله ﷺ حدثهم) أي الصحابة ومنهم أنس (عن ليلة أسري به) بالإضافة وفي نسخة بالتنوين أي ليلة أسري به فيها. قال زين العرب في شرح المصابيح: إنها مضافة إلى الماضي. وفي نسخة روايتي مجرورة منونة. وقال الطيبي: يجوز بناء ليلة وإعرابها وأسري بصيغة المجهول إيماء إلى قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ [الإسراء ـ ١]. والإسراء من السري وهو السير في الليل. يقال: سرى وأسرى بمعنى. وقيل: أسري سار من أول الليل وسرى من آخره. قيل: وهو أقرب فالباء في به للتعدية وذكر الليل للتجريد أو للتأكيد، وفي الآية بالتنكير للتقليل والتعظيم. (بينما أنا في الحطيم) قال القاضي: قيل: هو الحجر سمي حجراً لأنه حجر عنه بحيطانه وحطيماً لأنه حطم جداره عن مساواة الكعبة، وعليه ظاهر قوله: بينما أنا في الحطيم. (وربما قال: في الحجر) فلعله ﷺ حكى لهم قصة المعراج مرات فعبر بالحطيم تارة وبالحجر أخرى. وقيل: الحطيم غير الحجر وهو ما بين المقام إلى الباب. وقيل: ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر. والراوي شك في أنه سمع في الحطيم أو في الحجر انتهى. وقال ابن حبيب: الحطيم ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث ينحطم الناس للدعاء. وقيل: كان أهل الجاهلية يتحالفون هنالك وينحطمون بالأيمان، كذا ذكره الشارح الأول والله أعلم. (مضطجعاً) قيد للروايتين وهو يحتمل النوم واليقظة. (إذ أتاني آت) أي جاءني ملك (فشق) أي قطع (ما بين هذه إلى هذه يعني) تفسير[1] من مالك على ما هو الظاهر، أي يريد النبي ﷺ بقوله: هذا. (من ثغرة نحره) بضم المثلثة وسكون العين المعجمة أي نقرة نحره التي بين الترقوتين. (إلى شعرته) بكسر الشين أي عانته. وقيل: منبت شعرها. كذا في النهاية. (فاستخرج قلبي) قال شارح: وهذا الشق غير ما كان في زمن الصبا، إذ هو لإخراج مادة الهوى من قلبه، وهذا لإدخال كمال العلم والمعرفة في قلبه. قلت: وفيه إيماء إلى التخلية والتحلية ومقام الفناء والبقاء ونفي السوي وإثبات المولى كما تشير إليه الكلمة العليا. ثم اعلم أن هذا معجزة فإن من المحال العادي أن يعيش من ينشق بطنه ويستخرج قلبه، وكأن بعضهم حملوها على المعاني المجازية. ولذا قال التوربشتي: ما ذكر في الحديث من شق النحر واستخراج القلب وما يجري مجراه فإن السبيل في ذلك التسليم دون التعرض[2] بصرفه من وجه إلى وجه بنقول[3] متكلف ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول، هرباً مما يتوهم أنه محال ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة إلى المجاز في خبر الصادق عن الأمر لعدم المحال به على القدرة. (ثم أتيت بطست) بفتح الطاء

(١) في المخطوطة «نفسه».

(٢) في المخطوطة «التفويض».

(٣) في المخطوطة عبارة: «إلى وجه سفر له».

ثمّ أُتيتُ بطَسْت من ذهب مملوءٍ إيماناً، فغُسل قلبي، ثمّ حُشي، ثمّ أعيدَ» - وفي رواية: «ثمّ غُسل البطنُ بماءِ زمزمَ، ثمّ مُلىءَ إيماناً وحكمةً - ثمّ أُتيت بدابّة دونَ البغل وفوق الحمارِ، أبيض يُقال له: البّراق، يضع خَطوه عند أقصى طرفِه، فحُملتُ عليه، فانطلق بي

وتكسر وسينه مهملة في العربية، ومعجمة في العجمية. (من ذهب) لعل الاستعمال كان قبل التحريم أو القضية من خصوصياته عليه الصلاة والسلام. (مملوء) على وزن مفعول بالهمز ويشدد (إيماناً) تمييز قال القاضي: لعله من باب التمثيل إذ تمثل له المعاني كما تمثل له أرواح الأنبياء الدارجة بالصور التي كانوا عليها قبله. الطيبي: وفيه أن الأرواح أجساد لطيفة على الصحيح من الأقوال إلا أن يقال: المراد تمثل له الأرواح بأجسادهم الفانية، ولكن فيه أن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء. نعم لو قيل ببقاء أجسادهم المتعلقة بها أرواحهم في عالم الملك وبتمثلها في عالم الملكوت لكان توجيهاً وجيهاً وتنبيهاً نبيهاً، بل هو الظاهر ولا يبعد عن قدرة القاهر. وفي شرح مسلم معنى جعل الإيمان في الطست جعل شيء فيه يحصل به الإيمان فيكون مجازاً. وقد قال الشارح الأول: مانع من إرادة الحقيقة. أقول: والحاصل أن المعاني قد تتجسم كما حقق في وزن الأعمال وذبح كبش الموت ونحوهما. (فغسل قلبي ثم حشي) ماض مجهول من الحشو، أي ملىء من حب ربي (ثم أعيد) أي القلب إلى موضعه الأول على الوجه الأكمل (وفي رواية: ثم غسل البطن) أي الجوف مطلقاً أو محل القلب فإنه بيت الرب. (بماء زمزم ثم ملىء إيماناً وحكمة) أي ايقاناً واحساناً فهو تكميل وتذييل. (ثم أتيت بدابة) هي تطلق على الذكر والأنثى لقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود - ٦]. والتاء فيها للوحدة، فالمعنى بمركوب متوسط. (دون البغل) أصغر منه (وفوق الحمار) أي أكبر منه (أبيض) بالنصب على الحال أو الصفة (يقال له البراق) بضم أوّله سمي به لبريق لونه أو لسرعة سيره كبرق السحاب، ولا منع من الجمع وإن كان يؤيد الثاني قوله: (يضع خطوه عند أقصى طرفه) بفتح فسكون في كل منهما، أي يضع قدمه عند منتهى بصره وغاية نظره، قيل: الأصح أنه كان معداً لركوب الأنبياء. وقيل: لكل نبي براق على حدة وهو المناسب لمراتب الأصفياء. ففي شرح مسلم قالوا: هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. قال الزبيدي في مختصر العيني وصاحب التحرير: هي دابة كانت الأنبياء عليهم السلام يركبونها. وهذا الذي قالاه يحتاج إلى نقل صحيح. قال الطيبي: ولعلهم حسبوا ذلك من قوله في حديث آخر: فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء. أي ربطت البراق بالحلقة التي ربط بها الأنبياء. قلت: وليس فيه دلالة على تقدير تسليم تقديره لأن المراد بالبراق الجنس في الثاني. قال: وأظهر منه حديث أنس في الفصل الثاني قول جبريل للبراق: فما ركبك أحد أكرم على الله منه. قلت: هو مع ظهوره لا يخفى ما فيه من الاحتمال المانع من صحة الاستدلال، إذ يحتمل أنه ركبه بعض الملائكة أو جبريل قبله عند نزوله إليه ﷺ، أو التقدير فما ركب مثلك أو جنسك أحد أكرم على الله منه. فلا معنى لتنفرك عنه. (فحملت عليه) بصيغة المجهول أي ركبت عليه بمعاونة الملك أو بإعانة الملك، وفيه إيماء إلى صعوبته كما سيأتي وجهه. (فانطلق بي

جبريلُ حتى أتى السّماءَ الدنيا، فاستفتحَ، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومَن معَك؟ قال: محمّدٌ. قيل: وقد أُرسلَ إليه؟

جبريل حتى أتى باب السماء الدنيا) ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء وتمسك به من زعم أن المعراج كان في ليلة غير ليلة الإسراء إلى بيت المقدس. فأما المعراج فعلى غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق، بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع به مصرحاً ذكره العسقلاني. أقول: الأظهر أن هذا اقتصار من الراوي وإجمال لما سبق أنه ربط البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، نعم يمكن أن يكون سيره على البراق إلى بيت المقدس ثم إسراؤه إلى السماء بالمعراج الذي هو السلم والله أعلم. فكأن الراوي طوى الرواية فاختل به أمر الدراية. ثم قيل: الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إظهار الحق للمعاندين، لأنه لو عرج به عن مكة إلى السماء أولاً لم يكن سبيل إلى إيضاح الحق للمعاندين كما وقع في الإخبار بصفة بيت المقدس وما صادفه في الطريق من العير، مع ما في ذلك من حيازة فضيلة الرحيل إليه لأنه محل هجرة غالب الأنبياء، ولما روي أن باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس، فأسري إليه ليحصل العروج مستوياً من غير تعويج. ذكره السيوطي. **(فاستفتح)** أي طلب جبريل فتح باب السماء الدنيا **(قيل: من هذا)** أي المستفتح **(قال: جبريل)** بتقدير هو أو أنا. قال القاضي عياض: وفيه أن للسماء أبواباً حقيقة وحفظة موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان وأنه ينبغي أن يقول أنا زيد مثلاً. يعني لا يكتفي بقوله أنا كما هو المتعارف، إذ قد ورد به النهي. **(قيل: ومن معك)** أي أنت نعرفك ومن معك حتى تستفتح **(قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه)** الواو للعطف وحرف الاستفهام مقدر، أي أطلب وأرسل إليه بالعروج أو بالوحي، والأول أشهر وأظهر وعليه الأكثر. قال النووي: وفي رواية أخرى: وقد بعث إليه، أي بعث إليه للإسراء وصعود السماء. وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى على الملائكة إلى هذه المدة وهذا هو الصحيح. وقال البيضاوي: أي أرسل إليه للعروج. وقيل: معناه أوحي إليه وبعث نبياً، والأول أظهر لأن أمر نبوّته كان مشهوراً في الملكوت لا يكاد يخفى على خزائن السموات وحراسها وأوفق للاستفتاح والاستئذان ولذلك تكرر معه. وتحت هذه الكلمات ونظائرها أسرار يتفطن لها من فتحت بصيرته واشتعلت قريحته. قلت: ولعل مأخذها وقوفه على جميع الأبواب على دأب آداب أرباب الألباب، ثم السؤال من رواء الحجاب، وكذا الجواب بمرحباً مرحباً بذلك الجناب المشعر بالتنزل الرحماني والاستقبال الصمداني والإقبال الفرداني المشير إلى ما قال في الحديث القدسي المعبر عن الكلام النفسي: «من أتاني يمشي أتيته هرولة ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً»[1]. المومي إلى قوله سبحانه: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد ـ ٤]. المصرح بالمعية الخاصة في مقام مريد المزيد. ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق ـ ١٦]. ثم الوارد على لسانه بلسان الجمع. ﴿إن الله معنا﴾[2]. ثم عرض علو مقامه وحصول مرامه على

(١) أحمد في المسند ٣/١٣٨.

قال: نعم قيل: مرحباً به، فنعمَ المجيءُ جاء، ففُتح فلمّا خلصتُ، فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوكَ آدَم، فسلِمْ عليهِ، فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلام، ثمّ قال: مرحباً بالابنِ الصّالحِ والنبيِّ الصالح؛ ثمّ صعِد بي حتى أتى السَّماءَ الثانيةَ، فاستفتحَ قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومَن معَكَ؟ قال: محمّدٌ. قيل: وقد أُرسل إليهِ؟ قال: نعمْ. قيل: مرحباً به، فنعمَ المجيء جاءَ، ففُتح. فلمّا خلصتُ إذا يحيى وعيسى وهُما ابنا خالة قال: هذا يحيى وهذا عيسى فسلِّمْ عليهِما، فسلَّمتُ فردّاً، ثمّ قالا: مرحباً بالأخِ الصّالحِ والنبيِّ الصالح. ثم صعِد بي إلى السماءِ الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال:

آبائه الكرام وإخوانه العظام في تلك المشاهد الفخام فيا لها من ساعة سعادة لا يتصوّر فوقها زيادة. وقيل: كان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه أو للاستبشار بعروجه إليه إذا كان من البين عندهم أن أحداً من البشر لا يترقى إلى أسباب السموات من غير أن يأذن الله له ويأمر ملائكته بإصعاده، فإن جبريل لم يصعد بمن لم يرسل إليه ولا يستفتح له أبواب السماء. **(قال:)** أي جبريل **(نعم)** أي أرسل إليه بالتقريب لديه والإنعام عليه **(قيل: مرحباً به)** أي أتى الله بالنبي مرحباً، أي موضعاً واسعاً. فالباء للتعدية ومرحباً مفعول به. والمعنى جاء أهلاً وسهلاً لقوله: **(فنعم المجيء)** أي مجيئه **(جاء)** فعل ماض وقع استئناف بيان زماناً أو حالاً، والمجيء فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف. قال المظهر: فيه تقديم وتأخير وحذف المخصوص بالمدح، أي جاء فنعم المجيء مجيئه. وقيل: تقديره نعم المجيء الذي جاءه، فحذف الموصول واكتفى بالصلة. أو نعم المجيء مجيء جاء فحذف الموصوف واكتفى بالصفة. **(ففتح)** أي باب السماء **(فلما خلصت)** بفتح اللام أي وصلت إليها ودخلت فيها **(فإذا فيها آدم. فقال:)** أي جبريل **(هذا أبوك)** أي جدك آدم **(فسلم عليه)** قال التوربشتي: أمر بالتسليم على الأنبياء لأنه كان عابراً عليهم وكان في حكم القائم وكانوا في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد وإن كان أفضل منهم، وكيف لا والحديث دل على أنه أعلى مرتبة وأقوى حالاً وأتم عروجاً. **(فسلمت عليه. فرد السلام)** أي رداً جميلاً وفيه دليل على أن الأنبياء أحياء حقيقة **(ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح)** قيل: وإنما اقتصر الأنبياء على هذا الوصف لأن الصلاح صفة تشمل جميع خصائل الخير وشمائل الكرم ولذا قيل: الصالح من يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق عباده. ولذا ورد في الدعاء على ألسنة الأنبياء: **﴿توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾** [يوسف ـ ١٠١]. ويمكن أن يكون المراد به الصالح لهذا المقام العالي والصعود المتعالي. **(ثم صعد بي)** بكسر العين، أي طلع بي جبريل والباء للتعدية أو المصاحبة. **(حتى أتى السماء الثانية)** وقد ورد أن بين «كل سماء وسماء مسافة خمسمائة عام»[1]. **(فاستفتح. قيل: من هذا. قال:**

---

(١) وهو قوله تعالى: **﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾** [التوبة . آية رقم ٤٠].

(٢) راجع الحديث رقم (٥٧٣٥).

ثم صعِد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلِّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح،

لأهل الفطنة، اللهم إلا أن يحمل على التمني فإنه قد يتصور في أمر المحال والله أعلم بالحال. وقال بعض العلماء: لم يكن بكاء موسى عليه السلام حسداً، معاذ الله فإن الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله وهو في عالم الملكوت، بل كان آسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم الملزوم لنقص أجره، لأن[1] لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه. وأما قوله: غلام، فليس على سبيل التنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه، إذ أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحداً قبله ممن هو أسن منه. وقال العسقلاني: ويظهر لي أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا ﷺ من استمرار القوة في الكهولة إلى أن دخل في أول الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص. قلت: ويمكن أن يكون وجه تسميته غلاماً أنه حين مروره على الأنبياء كان في مدة عمره قليل بالنسبة إلى أعمارهم في الدنيا، ثم مرور الأزمنة عليهم في حال البرزخ، وقد يعتبر كونه غلاماً لما حصل له المرتبة العلية في قليل من مدة البعثة النبوية، فإن المعراج على ما سبق إنما كان بعد الوحي بزمان قليل. إذ أقصى ما قيل فيه أنه قبل الهجرة بسنة فيصدق عليه عمر الغلام بناء على أن قبله ليس من العمر التمام والله أعلم بحقيقة المرام. (**ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء**) في إطباق كلمتهم واتفاق جملتهم على هذا المدح المطلق إشعار بأن ألسنة الخلق أقلام الحق وليس هنا في الأصول لفظ ففتح، فكأنه سقط من لفظ الراوي أو اكتفاء بما سبق. ودلالة عليه بقوله: (**فلما خلصت فإذا إبراهيم. قال: هذا أبوك**) أي جدك الأقرب (**إبراهيم فسلم [عليه] فسلمت عليه فرد السلام**) وكأن نبينا عليه السلام كان في الاستغراق التام ومشاهدة المرام غافلاً عن الأنام كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ [النجم ـ ١٧]. حتى احتاج في كل من المقام إلى تعليم جبريل بالسلام (**ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح**) قال الحافظ السيوطي: استشكل رؤية الأنبياء في السموات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم؛ وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ تلك الليلة تشريفاً له. واختلف في حكمة اختصاص من ذكر من الأنبياء بالسماء التي لقيه. والأشهر أنه على حسب تفاوتهم في الدرجات، وعن هذا قال ابن أبي جمرة: اختصاص آدم بالأولى لأنه أول الأنبياء وأول الآباء، فكان في الأولى أولى، وعيسى بالثانية لأنه أقرب الأنبياء عهداً من نبينا ﷺ، ويليه يوسف لأن أمة محمد يدخلون الجنة

---

(١) في المخطوطة «كان».

ثم رُفعتُ إِلى سدرة المنتهى، فإذا نَبِقُها مثل قِلال هجر، وإِذا ورقُها مثل آذان الفِيَلة، قال: هذا سدرة المنتهى، فإذا أربعةُ أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أمَّا الباطنان فنهران في الجنة،

على صورته، وإدريس في الرابعة لقوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ [مريم - ٥٧]. والرابعة من السبع وسط معتدل، وهارون في الخامسة لقربه من أخيه، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله تعالى، وإبراهيم فوقه لأنه أفضل الأنبياء بعد نبينا. أقول: بقي الكلام على سائر الأنبياء عليهم السلام ولعلهم كانوا موجودين في السموات بما يناسبهم من المقام ولم يذكر في كل سماء إلا واحد من المشاهير الأعلام واكتفىٰ بذكرهم عن بقية الكرام. (ثم رفعت إلى سدرة المنتهى) وفي نسخة السيد وبعض النسخ: رفعت لي سدرة المنتهى. ويؤيده قول الآتي: ثم رفع لي البيت المعمور. وفي نسخة إليّ بتشديد الياء. قال الحافظ العسقلاني: الأكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء بضمير المتكلم وبعده حرف الجر. وللكشميهني: رفعت لي. بفتح العين وسكون التاء أو رفعت السدرة لي باللام، أي من أجلي. ويجمع بين الروايتين بأن المراد رفعه إليها، أي ارتقي به وأظهرت له. والرفع إلى الشيء يطلق على التقرب منه. وقال التوربشتي: الرفع تقريبك الشيء. وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة - ٣٤]. أي مقربة لهم، فكأنه أراد أن سدرة المنتهى استبينت له بنعوتها كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب إليه، وفي معناه رفع لي البيت المعمور ورفع لي بيت المقدس. قال النووي: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ. وحكي عن عبد الله بن مسعود أنها سميت بذلك لكونه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تبارك وتعالى. وقال السيوطي: وإضافتها إلى المنتهى لأنها مكان ينتهي دونه أعمال العباد وعلوم الخلائق، ولا تجاوز للملائكة والرسل منها إلا النبي ﷺ وهي في السماء السابعة وأصل ساقها في السادسة. (فإذا نبقها) بكسر الموحدة ويسكن أي ثمرها من كبره الدال على كبرها. (مثل قلال هجر) بكسر القاف جمع قلة بالضم وهي إناء للعرب كالجرة الكبيرة، وهجر اسم بلد ينصرف ولا ينصرف ولما كانت الثمرة في قشرتها كالمطعوم في ظرفه ضرب مثل ثمرتها بأكبر ما كانوا يتعارفونه بينهم من الظروف، كذا ذكره شارح. وفي القاموس: هجر محركة، بلد باليمن مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع، وقرية كانت قرب المدينة ينسب إليها القلال، وينسب إلى هجر اليمن. (وإذا ورقها) أي أوراقها في الكبر (مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح التحتية واللام جمع الفيل مثل الديكة [جمع الديك] والآذان بالمد جمع الأذن. (قال:) أي جبريل (هذا) أي هذا المقام أو هذا الشجر (سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار) أي ظاهرة. وقال شارح: إذا للمفاجأة أي فإذا أنا بأربعة أنهار. (نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت: ما هذان) أي النوعان من الأربعة نحو قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ [الحج - ١٩]. (يا جبريل. قال: أما الباطنان فنهران في الجنة) قال ابن الملك: يقال لأحدهما الكوثر وللآخر نهر الرحمة، كما في خبر. وإنما قال باطنان لخفاء أمرهما فلا تهتدي العقول إلى وصفهما أو لأنهما مخفيان عن أعين الناظرين فلا يريان

رواه مسلم.

٥٨٦٦ ـ (٥) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لقد رأيتُني في الحِجرِ وقريشُ تسألني عن مسْراي، فسألتني عن أشياءَ من بيت المقدس لم أُثبتْها، فكُرِبتُ كرباً ما كُربتُ مثلَه، فرفعَه اللّهُ لي أنظرُ إليه، ما يسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتُهم، وقد رأيتُني في جماعةٍ من الأنبياءِ،

يخلد في النار بخلاف المشركين. وليس المراد أنه لا تعذب أمته أصلاً. إذ قد علم من نصوص الشرع وإجماع أهل السنة إثبات عذاب العصاة من الموحدين. اهـ. وفيه أنه حينئذ لا يبقى خصوصية لأمته ولا مزية لملته، اللهم إلا أن يقال المراد غالب هذه الأمة فإنها أمة مرحومة والله أعلم. **(رواه مسلم)**.

٥٨٦٦ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لقد رأيتني)** أي والله لقد أبصرت نفسي الأنفس أو علمت ذاتي الأقدس **(في الحجر)** أي قائماً **(وقريش)** أي والحال أن جماعة من قريش **(تسألني عن مسراي)** بفتح الميم مصدر ميمي أي عن سيري إلى بيت المقدس بالضبطين **(فسألتني)** أي قريش **(عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها)** من الإثبات أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأمور أهم منها **(فكربت)** بصيغة المفعول أي أحزنت **(كرباً)** كذا في جميع نسخ المشكاة وهو مفعول مطلق. والمعنى حزناً شديداً، ويناسبه قوله: **(ما كربت مثله)** أي مثل ذلك الكرب. وفي القاموس: الكرب الحزن يأخذ بالنفس كالكربة وكربه الغم فهو مكروب. قال الطيبي: كذا في المصابيح. وفي شرح صحيح مسلم: كربة. قال النووي: الضمير في قوله: مثله. يعود إلى معنى الكربة وهو الغم أو الهم أو الشيء. قال الجوهري: الكربة بالضم الغم الذي يأخذ النفس لشدته. **(فرفعه الله)** أي بيت المقدس **(لي)** أي لأجلي **(أنظر إليه)** حال، والمعنى رفع الحجاب بيني وبينه لأنظر إليه وأخبر الناس بما اطلعت عليه، وهذا معنى كلامه مستأنفاً مبيناً. **(ما يسألوني)** بتشديد النون وتخفف **(عن شيء إلا أنبأتهم)** أي أخبرتهم به في تلك الحالة المستحضرة. ولذا لم يقل ما سألوني بصيغة الماضية. **(وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء)** أي مع جمع في ليلة الإسراء، كما يدل عليه السياق والسباق واللحاق وهذه الرؤية غير رؤية السماء بالاتفاق. ثم قيل: رؤيته إياهم في السماء محمولة على رؤية أرواحهم إلا عيسى لأنه ثبت أنه رفع بجسده. وقد قيل في إدريس ذلك. وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأرواح ويحتمل الأجساد بأرواحها. والأظهر أن صلاته لهم في بيت المقدس كان قبل العروج. قلت: قد سبق أنهم أحياء عند ربهم وأن الله حرم على الأرض أن تأكل لحومهم، ثم أجسادهم كأرواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم في عالم الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذي الجلال. ومما يؤيد تشكل

الحديث رقم ٥٨٦٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٢٨٠. حديث رقم ٣٣٩٤. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٦ حديث رقم (٢٧٨ . ١٧٢). والترمذي في السنن ٥/ ٢٨٠ حديث رقم ٣١٣٠.

فإذا موسى قائمٌ يُصلي. فإذا رجلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كأنه من رجالِ شنوءةَ، وإذا عيسى قائمٌ يُصلي، أقربُ الناس به شبهاً عروةُ بن مسعودٍ الثّقفيُّ، فإذا إبراهيمُ قائمٌ يُصلي، أشبهُ الناس به صاحبُكم - يعني نفسَه - فحانت الصلاةُ فأمَمْتُهم،

الأنبياء وتصوّرهم على وجه الجمع بين أجسادهم وأرواحهم قوله: (فإذا موسى قائم يصلي) فإن حقيقة الصلاة وهي الإتيان بالأفعال المختلفة إنما تكون للأشباح لا للأرواح لا سيما، وكالتصريح في المعنى المراد قوله: (فإذا رجل ضرب) أي نوع وسط (من الرجال) أو خفيف اللحم على ما في النهاية (جعد) بفتح فسكون وفيه معنيان أحدهما جعودة الجسم وهو اجتماعه، والثاني جعودة الشعر والأوّل أصح هاهنا. لما جاء في رواية أبي هريرة. أنه رجل الشعر. كذا قاله صاحب التحرير: قال النووي: ويجوز أن يراد به المعنى الثاني أيضاً لأنه يقال: شعر رجل إذا لم يكن شديد الجعودة. (كأنه من رجال شنوءة) وهي قبيلة مشهورة (وإذا عيسى قائم يصلي) فيه إيماء إلى أن الصلاة معراج المؤمن من حيث إنها حالة حضور الرب وكمال القرب في الحالات وأنواع الانتقالات وهو من أعظم اللذات عند عشاق الذات والصفا. (أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي) نسبة إلى ثقيف قبيل، وليس هذا أخاً لعبد الله بن مسعود كما في حواشي المصابيح فإنه هذلي. (وإذا بإبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به) أخبار متعاقبة لإبراهيم. قال الطيبي: والمعنى أكثر الناس شبهاً بإبراهيم (صاحبكم يعني نفسه) هذا من كلام أبي هريرة، أو من بعده. أي يريد النبي ﷺ بقوله: صاحبكم. نفسه وذاته إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ [التكوير - ٢٢]. ثم رؤيته إياهم يصلون يحتمل أنها كانت في أثناء الإسراء إلى بيت المقدس أو في نفس المسجد الأقصى وهو المعبد الأعلى ويؤيده الفاء التعقيبية في قوله: (فحانت الصلاة) أي دخل وقتها. ولعل المراد بها صلاة التحية أو يراد بها صلاة المعراج على الخصوصية. (فأممتهم) أي صرت لهم إماماً وكنت لهم إماماً في شرح مسلم للنووي. قال القاضي عياض: فإن قيل: كيف رأى موسى عليه السلام يصلي وأم ﷺ الأنبياء في بيت المقدس ووجدهم على مراتبهم في السموات. فالجواب يحتمل أنه ﷺ رآهم وصلّى بهم في بيت المقدس ثم صعدوا إلى السماء فوجدهم فيها، وأن يكون اجتماعهم وصلاته معهم بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى. اهـ. والأظهر أنه لا منع من الجمع حيث لا يخالفه العقل والسمع، مع أن الأمور الخارقة للعادة عن الكيفية العقلية خارجة. فقد روي أنه قيل للسيد عبد القادر رحمه الله أن قضيب البان ما يصلى فقال: لا تقولوا فإن رأسه دائماً على باب الكعبة ساجد. وتشكله بصورة المتعددة في الأماكن المختلفة معرفة عند طبقة الصوفية. فكأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يصلون في قبورهم ويستزيدون في سرورهم بنورهم وظهورهم، فلما تبين لهم اسراء سيد الأنبياء إلى جهة السماء استقبلوه واجتمعوا معه في بيت المقدس الذي هو مقر الأصفياء واقتدوا بالإمام الحي الذي هو أفضل رجال الطي ثم تقدموا بطريق المشايعة وآداب المتابعة إلى السموات وتوقف كل فيما أعطاه الله تعالى من المقامات فمر عليهم وخص كلاً بالسلام عليه، وهم أظهروا الترحيب والتعظيم لديه مع سائر الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبيين. إلى أن تجاوز عن سدرة المنتهى وانتهى إلى مقام قاب

فلمّا فرغتُ من الصلاةِ، قال لي قائلٌ: يا محمّدُ! هذا مالكٌ خازنُ النارِ فسلّم عليه، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلامِ». رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن: الفصل الثاني

الفصل الثالث

٥٨٦٧ ـ (٦) عن جابر، أنّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «لما كذّبني قريشٌ قمتُ في الحجرِ فجلّى اللّهُ بي بيتَ المَقدسِ، فطفِقتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظرُ إليه». متفق عليه.

البداية بعد العروج إلى النهاية للحكم الصمدانية وللقسم الفردانية رجع عن حاله من العظمة النبوية والدولة الخاتمية واجتمع بسائر الأنبياء ثانياً ونزلوا معه متقدمين ومتأخرين وتبايناً، إلى أن اجتمعوا إلى المسجد الأقصى آخراً وصلّى بهم صلاة مودع فاخر. ثم قوله: (**فلما فرغت من الصلاة**) يحتمل أن يكون قبل صعوده وأن يكون بعد شهوده (**قال لي قائل:**) هو جبريل أو غيره من ملك جليل (**يا محمد هذا خازن النار فسلم عليه**) أي تعظيماً لجلال الملك القهار أو تواضعاً كما هو دأب الأبرار (**فالتفت إليه**) أي على قصد السلام عليه (**فبدأني بالسلام**) أي لما عرف من تعظيم المقام وآداب الكرام وقال الطيبي: إنما بدأ بالسلام ليزيل ما استشعره من الخوف منه بخلاف سلامه على الأنبياء ابتداء كما سبق قلت: قد سبق قلت أنه ابتدأ بالسلام عليهم تواضعاً له وتكريماً لهم، أو لأنه كان قائماً وهم قعود على ما صرح به في آدم، أو لأنه كان ماراً وهم وقوف وهو مختار الشيخ التوربشتي، أو لأنه حي وأنهم في صورة الأموات والله أعلم بحقيقة الحالات. (**رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني**) أي فلا تستغرب من قوله.

(الفصل الثالث)

٥٨٦٧ ـ (**عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبني**) أي نسبني إلى الكذب (**قريش**) أي فيما ذكرت من قضية الإسراء وطلبوا مني علامات بيت المقدس وما [في] طريقه من الإنس (**قمت في الحجر**) أي في موضع بدءِ بي الصعود أوّلاً لينجلي لي الشهود ثانياً (**فجلى الله**) بتشديد اللام من التجلية أي فأظهر (**لي بيت المقدس**) أي وطريقه الأقدس (**فطفقت**) بكسر الفاء قبل القاف، أي فشرعت. (**أخبرهم عن آياته**) أي علامات بيت المقدس ودلالاته مما يكون من شواهد حالات النبي ﷺ ودلائل معجزاته (**وأنا أنظر إليه**) أي كان نظري واقع عليه وجسدي حاضر لديه. (**متفق عليه**).

تم الجزء العاشر، ويليه الجزء الحادي عشر

وأوله: «باب في المعجزات» من كتاب الفضائل والشمائل

الحديث رقم ٥٨٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٩٦. حديث رقم ٣٨٨٦. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٦ حديث رقم (٢٧٦ ـ ١٧٠). والترمذي في السنن ٥/ ٢٨١ حديث رقم ٣١٣٣. وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٨.

شرح العلامة الزرقاني

المتوفى سنة ١١٢٢ هـ.

على

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

للعلامة القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣ هـ.

ضبطه وصححه

محمد عبد العزيز الخالدي

الجزء الثامن

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطّبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

صلاته بهم في بيت المقدس كان قبل العروج. انتهى.

وقال ابن كثير: صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده، فإن في الحديث ما يدل على ذلك، ولا مانع منه، انتهى.

وقد اختلف في هذه الصلاة، هل هي فرض أو نفل؟ وإذا قلنا إنها فرض، فأي صلاة هي؟

قال بعضهم: الأقرب أنها الصبح، ويحتمل أن تكون العشاء، وإنما يتأتى على قول من قال: إنه ﷺ صلى بهم قبل عروجه إلى السماء، وأما على قول من قال:

للصلاة معه.

قال الشامي: وصححه ابن كثير، وقوله: **والأظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج، انتهى)** ظاهره أنه من كلام عياض، وليس كذلك.

إنما هو للحافظ، ذكره في فتح الباري بعد كلام عياض، وكذا عزاه له تلميذه النعماني، ثم الشامي، ثم الغيطي.

(وقال ابن كثير: صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده، فإن في الحديث ما يدل على ذلك، ولا مانع منه، انتهى.) وهذا منابذ لنقله عن ابن كثير نفسه، من قوله: الظاهر أنه بعد رجوعه إلى آخر ما يأتي بعد أسطر، وقد نسب النعماني ما هنا لنفسه، وتبعه الشامي فعزا له.

(وقد اختلف في هذه الصلاة؛) هل هي الشرعية المعروفة، أو اللغوية؟، وصوب الأول، لأن النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية ما لم يتعذر حمله على الشرعية، ولم يتعذر هنا، فوجب حمله على الشرعية، وعلى هذا اختلف **(هل هي فرض؟)** ويدل عليه، كما قال النعماني حديث أنس عند ابن أبي حاتم المتقدم قريبًا للمصنف، **(أو نفل، وإذا قلنا إنها فرض، فأي: صلاة هي؟، قال بعضهم: الأقرب أنها الصبح، ويحتمل أن تكون العشاء، وإنما يتأتى على قول من قال إنه ﷺ صلى بهم قبل عروجه إلى السماء)**.

وفي النعماني: إنما يتأتى على أن الإسراء من أول الليل، لكن قال بعض رواة حديث الإسراء: إنه بعد صلاة العشاء، **(وأما على قول من قال: صلى بهم بعد العروج، فتكون الصبح)**؛ والاحتمالان، كما قال الشامي ليسا بشيء، سواء قلنا صلى بهم قبل العروج أو بعده، لأن أول صلاة صلاها النبي ﷺ من الخمس مطلقًا الظهر بمكة باتفاق، ومن حمل الأولية على مكة، فعليه الدليل. قال: والذي ظهر أنها كانت من النفل المطلق، أو كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الإسراء، وفي فتاوى النووي ما يؤيد الثاني.

صلى بهم بعد العروج فتكون الصبح.

قال ابن كثير: ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس، والظاهر أنه بعد رجوعه إليهم لأنه لما مرَّ بهم في منازلهم جعل من يسأل جبريل عنهم واحدًا بعد واحدًا، وهو يخبره بهم، ثم قال: وهذا هو اللائق، لأنه أولاً كان مطلوبًا إلى الجناب العلوي، ليفرض الله عليه وعلى أمته ما يشاء، ثم لما فرغ مما أريد به اجتمع هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر شرفه عليهم بتقديمه في الإمامة.

وفي رواية ابن إسحٰق: أنه عليه السلام قال: لما فرغت مما كان في بيت

(قال ابن كثير: ومن الناس من يزعم أنه أمهم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس،) فهو الواجب القبول، **(والظاهر أنه بعد رجوعه إليهم، لأنه لما مر بهم في منازلهم)** من السمٰوات **(جعل من يسأل جبريل عنهم واحداً بعد واحد، وهو يخبره بهم،)** فلو رآهم قبل العروج ما حسن السؤال ولا الجواب، ولكن هذا عقلي يدفعه قوله: ثم دخلت المسجد، فعرفت النبيين ما بين قائم، وراكع وساجد، والسؤال عنهم بعد ذلك في السمٰوات لا يستلزم أنه لم يرهم قبل، لجواز اختلاف الصفة.

وقد نقل الحافظ، أن رؤيته الذين صلوا ببيت المقدس تحتمل الأرواح خاصة، والأرواح بأجسادها، وأما في السماء، فمحمولة على الأرواح إلا عيسى، لما أثبت أنه رفع بجسده، وقد قيل في إدريس أيضًا ذلك، ويأتي ذلك للمصنف.

(ثم قال) ابن كثير: **(وهذا هو اللائق، لأنه أولاً كان مطلوبًا إلى الجناب العلوي، ليفرض الله عليه وعلى أمته ما يشاء، ثم لما فرغ مما أريد به اجتمع هو وإخوانه من النبيين،)** وهذا أيضًا عقلي لا ينهض حجة في المدعي، لأنه قدم على هذا الأمر العظيم الذي ليس في طوق بشرًا يناسبه بالانتقال من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وما رآه في سيره من الآيات، ثم دخوله الأقصى وصلاته ركعتين، فناسب أن يجتمع بإخوانه ليزيد إيناسه بالاجتماع بجنسه، **(ثم أظهر شرفه عليهم بتقديمه في الإمامة،)** ثم ثناء من أثنى منهم على ربه، وزيادة ثنائه عليهم، وقول إبراهيم: بهذا فضلكم محمد، فيتلقى المعراج بقلب قوي، فلا يكون عنده وحشة في العالم العلوي.

(وفي رواية ابن إسحٰق،) عن أبي سعيد، **(أنه عليه السلام قال: لما فرغت مما كان في بيت المقدس)** من صلاته الركعتين، وصلاته بالأنبياء، وثنائهم على الله، **(أتي بالمعراج)**

المقدس، أتي بالمعراج ولم أر قط شيئاً أحسن منه، وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا احتضر، فأصعدني صاحبي جبريل فيه حتى انتهى إلى باب من أبواب السماء.

وفي رواية كعب: فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل.

وفي «شرف المصطفى» أنه أتي بالمعراج من جنة الفردوس، وأنه منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة، وعن يساره ملائكة.

وفي رواية أبي سعيد ـ عند البيهقي ـ ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم، فلم تر الخلائق أحسن من المعراج، أما رأيت الميت حين يشق

الذي تعرج عليه أرواح بني آدم، كما في الرواية الآتية؛ **(ولم أر قط شيئًا أحسن منه، وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا احتضر)** ولو كان الميت أعمى، كما في شرح الصدور، فالميت يكشف له إذا احتضر عن المعراج، فيراه، فيمد عينيه إليه، فإذا قبضت روحه، صعدت فيه إلى حيث شاء الله، **(فأصعدني صاحبي جبريل فيه، حتى انتهى إلى باب من أبواب السماء)** أي: الدنيا، كما مر في الحديث.

(وفي رواية كعب) عند الواسطي في فضائل بيت المقدس؛ **(فوضعت له مرقاة من فضة، ومرقاة من ذهب)** وهو المعراج، **(حتى عرج هو وجبريل)** عليها، والمرقاة موضع الرقي، ويجوز فتح الميم على أنه موضع الارتقاء، وكسرها تشبيهًا باسم الآلة، كالمطهرة، وأنكره أبو عبيد، وقال: لم تقله العرب.

(وفي) رواية لابن سعد في كتاب **(شرف المصطفى؛ أنه أتي بالمعراج من جنة الفردوس)** قال ﷺ: «والفردوس أعلى الجنة ووسطها، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس» رواه ابن ماجه، وصححه الحاكم.

(وأنه منضد باللؤلؤ) أي: جمع عليه بحيث عمه بجعل بعضه فوق بعض، **(وعن يمينه ملائكة، وعن يساره ملائكة)**.

(وفي رواية أبي سعيد عند البيهقي: ثم أتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم، فلم تر الخلائق أحسن من المعراج، أما رأيت الميت) استفهام قصد به تقرير المبالغة في حسنه، **(حين يشق بصره)** أي: تنفتح عيناه عند الاحتضار انفتاحًا لا يرتد عما رآه، قال المجد: شق بصر الميت، نظر إلى شيء لا يرتد إليه طرفه، ولا تقل شق الميت بصره، فأفاد أنه لازم، وفسره الفقهاء بيشخص بصره، ولعله إشارة إلى أنه صار كالشاخص الذي لا يتحرك من

بصره طامحًا إلى السماء، فإن ذلك عجبه بالمعراج.

وقد تقدم في حديث البخاري السابق: فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم.

ولم يقل جبريل عليه السلام: أنا، حيث قال له: من هذا؟ إنما سمى نفسه فقال: جبريل، لأن لفظ «أنا» فيه إشعار بالعظمة. وفي الكلام السائر: أول من قال «أنا» إبليس، فشقي، وأيضًا فقوله «أنا» مبهمة لافتقار الضمير إلى العود، فهي غير كافية في البيان.

وعلى هذا فينبغي للمستأذن إذا قيل له من أنت؟ أن لا يقول: «أنا»، بل

شدة نظره للمعراج الذي تعرج روحه عليه، وترى بصرية حال كونه، (طامحًا،) أي: رافعًا بصره إلى السماء، (فإن ذلك،) أي: سببه (عجبه بالمعراج، وقد تقدم في حديث البخاري السابق) عن لملك بن صعصعة، (فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، قيل: من هذا؟، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟، قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟، قال: نعم، ولم يقل جبريل عليه السلام: أنا حيث قال له: من هذا؟، إنما سمى نفسه، فقال جبريل)، واقتصر عليه، لأنه ليس في الملائكة من تسمى بهذا الاسم غيره، (لأن لفظ أنا فيه إشعار بالعظمة) التي لا تخلو عن نوع تكبر، كأنه يقول: أنا لا أحتاج إلى ذكر اسمي لسمو مقامي، قاله ابن الجوزي.

قال بعضهم: وعادة العارفين المتقدين أن يذكر أحدهم اسمه بدل قوله أنا، لا في نحو إقرار بحق، فالضمير أولى، (وفي الكلام السائر) الجاري بين الناس، (أول من قال أنا إبليس، فشقي،) وقال فرعون: أنا ربكم الأعلى فتعس، (وأيضًا، فقوله أنا مبهمة لافتقار الضمير إلى العود، فهي غير كافية في البيان،) والضمير إذا عاد وتعين مضمره كان أعرف المعارف، والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه، غير متعين عنده، فكأنه أحاله على جهالة، كما في ابن المنير وغيره.

(وعلى هذا فينبغي للمستأذن إذا قيل له: من أنت؟، أن لا يقول: أنا، بل يقول فلان،) ويصف نفسه بما يميزه عن غيره، فلا يكفي أن يقول محمد مثلاً، إلا إذا كان معروفًا للمخاطب بذلك الاسم، وقد أنكر النبي ﷺ على الذي استأذن عليه، فقال: من هذا؟، فقال: أنا، فقال ﷺ: أنا أنا إنكارًا عليه، قاله ابن المنير وغيره.

وقال بعض المحققين: ذهبت طائفة من العلماء وفرقة من الصوفية إلى كراهة إخبار الرجل

السلام، لأجل أنه أخوه وخليفته في قومه، فكان هناك لأجل هذا المعنى. وإنما لم يكن مع موسى في السماء السادسة لأن لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليمًا، واختص بأشياء لم تكن لهرون فلأجل هذا المعنى لم يكن معه.

وإنما كان موسى في السماء السادسة لأجل ما اختص به من الفضائل، ولأنه الكليم، وهو أكثر الأنبياء أتباعًا بعد نبينا ﷺ.

وإنما كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام في السماء السابعة لأنه الخليل والأب الأخير فناسب أن يتجدد للنبي عليه السلام بلقياه أنس، لتوجهه بعده إلى عالم آخر، وهو اختراق الحجب، وأيضًا لأنه الخليل، ولا أحد أفضل من الخليل إلا الحبيب، والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل لأجل خلته وفضله، وارتفع الحبيب فوق الكل لأجل ما اختص مما زاد به عليهم، قال الله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع

لأجل أنه أخوه) ووزيره (وخليفته في قومه،) لما ذهب إلى المناجاة، (فكان هناك لأجل هذا المعنى، وإنما لم يكن مع موسى في السماء السادسة، لأن لموسى مزية وحرمة، وهي كونه كليمًا، واختص بأشياء لم تكن لهرون، فلأجل هذا المعنى لم يكن معه) تكرار لزيادة البيان.

(وإنما كان موسى في السادسة، لأجل ما اختص به من الفضائل، ولأنه الكليم، وهو أكثر الأنبياء اتباعًا بعد نبينا ﷺ،) فكان فيها للإشعار بالقرب.

(وإنما كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام في السماء السابعة، لأنه الخليل والأب الأخير) للمصطفى، (فناسب أن يتجدد للنبي عليه السلام بلقياه أنس لتوجهه بعده إلى عالم آخر، وهو اختراق الحجب،) كما أنس بأبيه آدم في أول عالم السموات، ثم في وسطها بأبيه إدريس، لأن الرابعة من السبع وسط معتدل، (وأيضًا، لأنه الخليل، ولا أحد أفضل من الخليل إلا الحبيب، والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام، فكان الخليل فوق الكل، لأجل خلته وفضله، وارتفع الحبيب فوق الكل، لأجل ما اختص منما زاد به عليهم،) وما أحسن اختصار الحافظ لهذا بقوله، وأيضًا، فمنزلة الخليل تقتضي أن تكون أرفع المنازل، ومنزلة الحبيب أرفع من منزلته، فلذلك ارتفع عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين، أو أدنى.

(قال الله تعالى: (﴿تلك﴾) مبتدأ (﴿الرسل﴾) صفة، والخبر (﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾،) بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره، (﴿منهم من كلم الله﴾،) كموسى، (﴿ورفع بعضهم﴾،) أي: محمدًا (﴿درجات﴾ [البقرة/٢٥٣] ،) على غيره، بعموم الدعوة، وختم النبوة

بعضهم درجات﴾ [البقرة/٢٥٣] فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة، ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعًا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول. انتهى فليتأمل.

وقد اختلف في رؤية نبينا ﷺ لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام، فحمله بعضهم على رؤية أرواحهم إلا عيسى، لما ثبت أنه رفع بجسده. وقد قيل في إدريس أيضًا ذلك.

وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس، فيحتمل، الأرواح خاصة، ويحتمل: الأجساد بأرواحها.

به، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكاثرة، والخصائص العديدة، **(فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة، وهي درجة الرسالة والنبوة، ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة)** الإلهية، **(ترفيعًا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول،)** وفي نسخة: للمنزول بلام بدل الموحدة، أي: النازل عن غيره في الفضل **(انتهى، فليتأمل).**

(وقد اختلف في) صفة **(رؤية نبينا ﷺ لهؤلاء الأنبياء عليهم السلام)** في السموات، ولهم ولغيرهم في بيت المقدس، مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض، **(فحمله بعضهم على رؤية أرواحهم)** متشكلة بصور أجسادهم، **(إلا عيسى لما ثبت أنه رفع بجسده،)** سواء قلنا رفع حيًا عند الأكثرين، أو بعد أن توفي على ظاهر: ﴿إني متوفيك﴾، للاتفاق على رفعه بجسده.

(وقد قيل في إدريس أيضًا ذلك،) أي: رفع بجسده حيًا، ثم مات أم لا على قولين تقدما، **(وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس، فيحتمل الأرواح خاصة،)** دون الأجساد، ويؤيده حديث أبي هريرة عند الحاكم والبيهقي، فلقي أرواح الأنبياء، وفيه دليل على تشكل الأرواح بصور أجسادها في عالم الله، **(ويحتمل الأجساد بأرواحها،)** بأن يكون أسرى بأجسادهم من قبورهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة تشريفًا وتكريمًا، ويؤيده حديث أنس عند البيهقي، وبعث له آدم، فمن دونه من الأنبياء، فأمهم.

وعند البزار والطبراني: فنشر لي الأنبياء من سمى الله تعالى، ومن لم يسم، فصليت بهم.

قال الحافظ: واختاره بعض شيوخنا، واحتج بما في مسلم، مرفوعًا: «رأيت موسى ليلة أسري بي قائمًا يصلي في قبره». فدل على أنه أسري به لما مر به، وقلت، وليس ذلك بلازم، بل يجوز أن لروحه اتصالاً بجسده في الأرض، ولذلك تمكن من الصلاة فيها وروحه مستقرة في السماء.

وقيل: يحتمل أن يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم في قبر في الأرض على الصورة التي أخبر بها من الموضع الذي ذكر أنه عاينه فيه، فيكون الله عز وجل قد أعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك، ويشهد له رؤيته عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض الحائط وهو محتمل لأن يكون عليه الصلاة والسلام رآهما من ذلك الموضع أو مثل له صورتهما في عرض الحائط، والقدرة صالحة لكليهما.

وقيل: يحتمل أن يكون الله سبحانه وتعالى لما أراد بإسراء نبينا، رفعهم من قبورهم لتلك المواضع إكرامًا لنبيه عليه السلام وتعظيمًا له حتى يحصل له من قبلهم ما أشرنا إليه من الأنس والبشارة، وغير ذلك مما لم نشر إليه ولا نعلمه نحن.

(وقيل:) أي: قال ابن أبي جمرة رؤيته لهؤلاء الأنبياء (يحتمل) وجوهًا: أحدها: أنه يحتمل (أن يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم في قبر في الأرض على الصورة التي أخبر بها من الموضع الذي ذكر أنه عاينه فيه، فيكون الله عز وجل قد أعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك،) لكن قد يبعده، فإذا فيها آدم الخ..، لا سيما قوله: فإذا أنا بإبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، فإن الأصل الحقيقة، وكون المعنى، فإذا في وجودي في السماء عاينت آدم في قبره، ثم يقال مثله في البقية، مجاز بعيد جدًا بلا داعية، وكيف يقال عاينت وأنا في السماء السابعة إبراهيم في قبره، وهو مسند ظهره إلى البيت المعمور.

(ويشهد له رؤيته عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض الحائط:) (بضم العين وإسكان الراء) جانبه وناحيته، (وهو محتمل لأن يكون عليه الصلاة والسلام رآهما من ذلك الموضع) حقيقة، بأن كشف له عنهما، وأزيلت الحجب التي بينه وبينهما.

قال ابن أبي جمرة: كما يقال: رأيت الهلال من منزلي من الطاق، والمراد من موضع الطاق، (أو مثل له صورتهما في عرض الحائط، والقدرة صالحة لكليهما،) لكن هذان الاحتمالان ظاهران في ذا الحديث، وإجراء مثلهما في حديث المعراج لا يظهر لبعده.

(وقيل:) أي: قال ابن أبي جمرة أيضًا، (يحتمل) أن يكون ﷺ عاين أرواحهم هناك في صورهم، و (أن يكون الله سبحانه وتعالى لما أراد بإسراء نبينا رفعهم من قبورهم لتلك المواضع إكرامًا لنبيه عليه السلام وتعظيمًا له، حتى يحصل له من قبلهم) بكسر ففتح، جهتهم، (ما أشرنا إليه من الإنس والبشارة وغير ذلك، مما لم نشر إليه ولا نعلمه نحن،)

وكل هذه الوجوه محتملة، ولا ترجيح لأحدها على الآخر إذ القدرة صالحة لكل ذلك. انتهى.

وأما قوله في الحديث: ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال

وهذا الاحتمال هو عين قوله أولاً، ويحتمل الأجساد بأرواحها غايته أنه مبسوط عنه، فهو كالشرح له، وبقي احتمال رابع، وبه جزم أبو الوفاء بن عقيل، أن أرواحهم مستقرة في الأماكن التي رآهم المصطفى فيها متشكلة بصور أجسادهم، لكنه إنما يظهر في الذين رآهم في السموات، لا في بيت المقدس.

(**وكل هذه الوجوه محتملة**) (بضم الميم الأولى وفتح الثانية)، أي: قريبة، (وإما بكسر الثانية)، فالواقعة نفسها، كما صرح به بعضهم، (**ولا ترجيح لأحدها على الآخر**) من حيث الاحتمال في حد ذاته، (**إذ القدرة صالحة لكل ذلك**) أما بالنظر لما يشهد له من خارج، فيرجع. (**انتهى**) يعني كلام ابن أبي جمرة، وإن لم يفصح به، وأوله ما قد علمته، وما قبله أتى به المصنف من فتح الباري، وفيه رد على ما أطال به ابن القيم في كتاب الروح من ترجيح أن رؤيته إنما هي لأرواحهم فقط، إذ الأجساد في الأرض قطعًا إنما تبعث يوم القيامة، ولو بعثت قبل ذلك لكانت انشقت عنهم الأرض قبلها، وكانت تذوق الموت عند نفخ الصور، وهذه موتة ثالثة، وهذا باطل قطعًا، وبأنها لو بعثت الأجساد لم تعد إلى القبور، بل كانت في الجنة مع أنها محرمة على الأنبياء حتى يدخلها نبينا، وهو أول من يستفتح باب الجنة، ولا تنشق الأرض عن أحد قبله إلى آخر ما أطال به، مما لا حجة له فيه، وجوابه كما أملاني شيخنا أنه إنما يتم ما قاله، لو كانت أرواحهم مفارقة لأجسادهم في قبورهم، وليس كذلك، بل هم أحياء في قبورهم بحياة حقيقية يأكلون ويشربون ويتمتعون فيها، وخروجهم من قبورهم، ومجيئهم لها ليس الخروج المقتضي للبعث، بل هو كخروج الإنسان من منزله لحاجة يقضيها، ويعود إليه، فلا يعد بذلك مفارقًا له، والذي يعد به مفارقًا هو الذي بحيث لا يعود إليه، بل يقوم للقيامة، وبهذا سقط كلامه.

(**وأما قوله في الحديث: ثم رفعت**) رواه الأكثر بضم الراء، وسكون العين وضم التاء، ضمير المتكلم بعده حرف الجر، وهو (**إلى سدرة المنتهى**) وللكشميهني: رفعت، بفتح العين وسكون التاء، أي: السدرة لي، أي: من أجلي.

وكذا في بدء الخلق، ويجمع بين الروايتين بأنه رفع إليها، أي: ارتقى به، وظهرت له، والرفع إلى الشيء يطلق على التقريب منه، وقد قيل في قوله: ﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة/٣٤] ، أي: تقرب لهم، (**فإذا نبقها**) بفتح النون، وكسر الموحدة، وبسكونها أيضًا.